اولاً : التعريف بالمذهب الاسماعيلي

م . م رسل حسين فرحان

Rusll1988@uomustansiriyah.edu.iq

تعد الإسماعيلية فرقة من الفرق الكبرى التي انتسبت الى التشيع وانتشرت بدعواه وعن بدايات هذه التسمية ، أنها سميت بالإسماعيلية لانتسابها الى الإمام اسماعيل بن جعفر الصادق (ت:145هـ / 765م) .

وقد اتفقت المصادر على انقسام الشيعة الإمامية بعد وفاة جعفر بن محمد الصادق الى فرقتين، عرفت الفرقة الاولى بالفرقة الاثني عشريه, في حين عرفت الثانية بفرقة الإسماعيلية.

والإسماعيلية هم الذين ساقوا الإمامة بعد جعفر الى ابنه اسماعيل واوصى عليه باتفاق اولاده وقد انقسمت حيال موته الى قسمين.

1. فرقه منتظرة لإسماعيل الذي مات في حياة ابيه ، وقال اتباعها أَنه لم يمت إلا ان اباه أَظهر موته تقية من خلفاء بني العباس وعقد محضرا وأشهد عليه عامل المنصور داوود بن علي بن عبد الله بن العباس في المدينة .
2. و فرقه قالت بأن الامام بعد جعفر حفيده محمد بن اسماعيل، وأَقرت موت اسماعيل في حياة ابيه، وترى بأن جعفر نصب اسماعيل من بعده، للدلالة على امامة ابنه محمد بن اسماعيل لأن النص لا يرجع القهقري، والفائدة في النص بقاء الإمامة في أَولاد المنصوص عليه دون غيره .

وهذا الانشقاق الذي حصل بين اتباع الإسماعيلية ادى بهم الى فرقتين حول موضوع الامامة منها المباركية أتباع المبارك خادم محمد بن إسماعيل فهي تقول أن جعفر الصادق نص على ان يتولى اسماعيل الإمامة بعده، لكن أسماعيل توفي في حياة أبيه مما ادى الى انتقال الإمامة الى ابنه محمد لأن الامامة في زعمهم لا تكون إلا في الاعقاب ولا تنتقل من أخ الى أخيه إلا في حالة الامامين الحسن والحسين (عليهما السلام) وحدها.

فلابد أن تنتقل من أب الى أبن استنادا إلى الآية القرآنية (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً في عَقِبِهِ) وبما أن أسماعيل كان صاحب الحق الشرعي في الإمامة بعد ان نص ابوه على ذلك فلابد ان تسلسل الإمامة في ابنه محمد، هذا من جانب ومن جانب أخر ان محمد كان أكبر سنا من عمه موسى الكاظم مرشح الإمامية وعليه له الأحقية في تسلم الإمامة منه .

ومما يجب قوله ان الفرقة المباركية هذه تؤكد وفاة أسماعيل في حياة ابيه وتعترف فقط بإمامة محمد بن أسماعيل بعد الصادق وأصبح واضحاً ان اسم مبارك كان لقبا لإسماعيل نفسه وأن أتباعه هم من أطلق عليه هذه التسمية ، وعلى النقيض من المباركية تقف الإسماعيلية الخالصة التي تقول أَن : " قصة وفاة أسماعيل بن جعفر في حياة ابيه، أنما كانت قصة أراد بها الامام جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور(136–158هـ/754–775م) الخليفة الثاني في قائمة الخلفاء العباسيين الذي كان يطارد أئمة الشيعة فخاف الامام جعفر الصادق(ع) على أبنه وخليفته أسماعيل فأدعى موته ، وأتى بشهود كتبوا محضراً بوفاته ، وأرسل ذلك المحضر الى الخليفة العباسي الذي أظهر سروراً وارتياحا بوفاة أسماعيل الذي كان إليه امر الشيعة" .

من هذا نستنتج ان الإسماعيلية كفرقه تأخذ أسمها من أسماعيل بن جعفر الصادق وحتى على رأي القائلين بموته في حياة ابيه، تقر بإمامة محمد بن أسماعيل وهي ثابته عن طريق ثبوت امامة اسماعيل شخصيا بما في ذلك النص عليه من قبل ابيه جعفر الصادق ولذا يُعرف الإسماعيلية عن انفسهم بـ " نحن الإسماعيلية تميزا عن فرق الشيعة بهذا الاسم" .

وقد اختلف الاسماعيليه بعد وفاة الامام الصادق الى طائفتين

الطائفة الاولى: وقف اتباعها على محمد بن اسماعيل وترى أدوار الإمامة انتهت به، أذ كان هو السابع من ذرية النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأدوار الإمامة عندهم سبعه وأيام الاسبوع والكواكب سبعه وهؤلاء هم السبعية .

الطائفة الثانية: هي التي ساقت الإمامة في المستورين او المكتومين، لأَن الإمام عندهم قد لا تكون له شوكه فيستتر، ويكون دعاته ظاهرين إقامة للحجه على الخلق، فاذا كانت له شوكه ظهر واظهر دعوته ويسمى هؤلاء بالباطنية لحكمهم بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل .

ثانياً : تاريخ النشوء

الإسماعيلية هي حركه دينيه سياسيه نشأت على أسس دينيه، تتمحور حول مفهوم الإمامة وتختلف عن الفرقة الإمامية او الاثنا عشرية في اسناد الإمامة، فالإسماعيلية كما اسلفنا تعتقد ان الإمامة من حق أسماعيل بن جعفر الصادق، وهو الأَبن الاكبر للإمام جعفر الصادق فيما تعتقد الإمامية أن الإمامة هي من حق الإمام موسى الكاظم(ت:183هـ/799م) الابن الاصغر للإمام جعفر الصادق، أما الاختلاف الثاني بين الفرقتين فهو أن الإسماعيلية تعتقد بالأئمة السبعة الذين هم من ذرية الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام)، وتقف عند الإمام السابع وهو أسماعيل بن جعفر الصادق بن الحسن العسكري بن علي الهادي ، فيما تعتقد الاثنا عشريه بوجود أثنا عشر إماما اخرهم هو المهدي المنتظر الذي اختفى ويقال انه دخل في سرداب بمدينة سامراء وسيظهر يوماً، اما الإسماعيلية فأن مهديهم حي يرزق وسيظهر عندما تكون الفرصة مواتيه .

لم تتخذ الحركة الإسماعيلية شكلا واحدا ولم تقتصر على اسم معين بل ظهرت بأشكال وصور متعددة في نظريتها وتنظيمها، ولاشك أن وضع الخلافة العباسية كان مساعدا على انتشار هذه الحركة فهناك ضعف العباسيين وتقلص سلطانهم، الى جانب خيبة الأمل لدى الناس من عدم تحقيق الوعود لهم، وهناك تذمر الطوائف من العناصر غير العربية في حكمهم لهم فضلا عن تسرب الخرافات والبدع الفلسفية مما سهل عليهم قبول أي مبدأ، فضلا عن التطور الأقتصادي الحاصل في المجتمع وانتقاله من مجتمع زراعي الى تجاري هذا جعل الناس تتقبل اي دعوه جديده .

جاءت الحركة الإسماعيلية نتيجة تخطيط متكامل ودقيق قام به أبناء فرع الامام الحسين بن علي بن أبي طالب (ع) متمثلا بأبن الامام البكر لجعفر الصادق اسماعيل الذي قد آلت اليه زعامة البيت العلوي، ووضع الاصول لهذا التخطيط لمناهضة السلطه العباسيه .

وصارت الإمامة عند الاسماعيليين تختلف عن الخلافة في إمامة الدين والدنيا على نحو ما شرحه أبن خلدون ، وذكر البلاذري " أن الشيعة بخلاف فقهاء السنه خصوا عليا باسم الإمام بخلاف أهل السنه الذين خصوا أبو بكر بذلك الذي يعد تاريخياً أول الخلفاء الراشدين الأربعة وهكذا عدت الدراسات الفقهية في مفهوم الإمامة سبيلا للمعارضة الفكرية للخلافة العباسية " .

توفرت في الامام جعفر الصادق (ع) الصفات الخاصة بالإمامة، وعلى الرغم من انه على خلاف زيد بن علي (ت : 122 هـ / 740 م)، اذ كان يتجنب الثورة على العباسيين، وكانت شخصيته تجمع صفات الصدق والفضل وكونه سليل الإمامة ومن أجلاء التابعين، وله المنزلة الرفيعة في العلم ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط .

والحقيقة أن جعفر الصادق بشخصيته العالمية الرقيقة أستطاع أرساء ألاسس التي بدأ بها والده محمد الباقر(114هـ/761م) لمفهوم الإمامة وللمجتمع العلوي الإمامي بين العباسيين في مدن الكوفة، وبغداد، والمدائن، التي تدور حول العقيدة المركزية للشيعة الإمامية على أن عامة المسلمين بحاجه دائمة الى إمام معصوم لا يخطئ يستطيع العمل بعد النبي كمعلم يرشد الناس في جميع مسائلهم الروحية والدنيوية .

ولا يتردد فقهاء الشيعة في القول أن الإمامة واجب في الدين عقلاً وشرعاً كما أن النبوة واجب في الفطرة عقلاً وسمعاً ، وقد توج هذا النشاط الفقهي اعتماد الإمام الصادق على (مبدأ التقية) ، الذي صار جزءاً مكملاً لتعاليم البيت العلوي وركناً أساسياً في مذهبهم، وتقتضي مثل هذه التقيه ان يحافظ المرء على عرضه او نفسه او ماله اذا خاف من عدوه او عجز عن مواجهة شروره . فالتقية من وجهة نظرهم يعد مخرجا من بطش العباسيين وما يتعرض له البيت العلوي من الاذى والعنف .

وفي نهاية الحديث عن نشوء الإسماعيلية يظهر لدينا سؤال حول أسماعيل بن جعفر الصادق والفرقة التي انتسبت إليه، بمعنى هل أن الإسماعيلية هي فعلاً ترجع الى أسماعيل وأنه مؤسسها ؟

وللإجابة عن هذا السؤال توصلنا الى عدة اراء طرحها المؤرخون للاهتداء الى رأي قاطع وهذا ليس بالأمر اليسير لأَن الموضوع مازال موضع جدل بين المؤرخين، ومن هذه الآراء :

أولهما : قول الرازي والشهرستاني وابن الجوزي وابن الأثير في أن أطلاق لفظ الإسماعيلية يعود لانتسابهم الى إسماعيل بن جعفر الصادق وتوليهم له والقول بإمامته بعد أبيه سواء في حياة أبيه أو حصلت بعده.

والدليل على إمامة إسماعيل بن الصادق في حياة أبيه اذ يقول الإمام الصادق " لو جاءكم احد بدماغ ابني هذا ويشير الى اسماعيل فلا تشكوا انه الامام من بعدي " . وذكر الإمام في موضع اخر " هذا هو الإمام أسماعيل بعدي فما أخذتموه عنه فهو عني" .

ثانيهما : قول الغزالي ، إن تسمية الإسماعيلية ليست الى إسماعيل وإنما هو لزعيمهم أبنه محمد بن إسماعيل بن جعفر الذي يزعمون إن أدوار الإمامة انتهت إليه، فضلا عن ان شروط الإمامة لم تتوفر في إسماعيل مع انه أكبر أولاد الإمام الصادق من هذه الشروط ان يكون الأعلم، الأفضل، الأروع، الأتقى من جميع الناس كذلك خلوه من نقص الخليقة التكوينية وأن يكون منصوص عليه باسمه وصفته من النبي او الإمام السابق وان يكون حي بعد موت الإمام السابق

وهناك قول للأمام الصادق يذم فيه أحد المقربين من إبنه إسماعيل وهو أبا الخطاب وقد لعنه الإمام الصادق فتأول أبو الخطاب، اللعن وقال : أن الإمام يقصد قتاده بن دعامه البصري، الذي يكنى بأبي الخطاب أيضاً، فقال الإمام " والله ما عنيت الا محمد بن مقلاص، بن ابي زينب الاسدي الأجدع الكوفي ، البراد، عبد بني أسد، فلعنة الله عليه، ولعن اصحابه، ولعن الشاكين فيه، ولعن من قال اني اضمر وابطن غيرهم" .

وعندما بلغ الإمام مقتل أبا الخطاب تنفس الإمام بسعادة وقال :" لعن الله أبا الخطاب، ولعن من قتل معه، ولعن من بقي منهم، ولعن الله من دخل في قلبه لهم رحمه " .

نستنتج من هذه الآراء المختلفة هو إن الاختلاف كان سببه الإسماعيليين انفسهم لانهم أيضا تباينت آرائهم حول الإمامة ولمن آلت إليه ، فمنهم من اكد على موت اسماعيل في حياة أبية . ومنهم من خالف الرأي وقال بزعامة إبنه محمد، فضلاً عن أن المؤرخين انفسهم اختلفوا في تحديد وقت وفاة إسماعيل

فالشهرستاني ، قطع بموت إسماعيل في حياة أبية وإن الامام جعفر(ع) نص عليه في حياته. والفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه دون غيرهم ، والدليل على موت إسماعيل في حياة أبيه كما رواها المجلسي عن رواية سعيد بن عبيد الله الاعرج قال: "قال ابو عبد الله لما مات إسماعيل أمرت به وهو مسجى بأن يكشف عن وجهه فقبلت جبهيه وذقنه ونحره، ثم أمرتهم فغطوه، ثم أمرت به فغسل ثم دخلت عليه وقد كفن فقلت : أكشفوا عن وجهه فقبلت جبهته ونحره وعوذته ثم قلت : ادرجوه فقلت بأي شيء عوذته ؟ فقال بالقرآن".

ومن الأراء التاريخية من ذكر ان نشأة الإسماعيلية قديمة وانها بدأت منذ عهد أسماعيل بن ابراهيم الخليل ويرى مصطفى غالب ان لهؤلاء ما يثبت اقوالهم علميا وعقائديا.

وهناك رأي اخر له اهميه يتمثل في اعتبار النشأة على يد الخطابية أَو آل القداح فبخصوص الخطابية نجد اقدم الأراء عند النوبختي الذي يذهب الى ان الإسماعيلية هم الخطابية وهو يريد بذلك رميهم بالغلو والتطرف لانفصالهم عن الإمامية، وهو رأي القمي والكشي .

والمصادر التاريخية التي تحدثت عن أبي الخطاب تثبت ان جميع دعاة المذهب الإسماعيلي المشهورين هم في حقيقتهم تلاميذ لأبي الخطاب فابن رزام قال " ان الميمونية

تلاميذ واتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ لابي الخطاب " .

إن الاهتداء الى رأي قاطع في هذه المسألة، وهي علاقة إسماعيل بالفرقة التي عرفت فيما بعد بالإسماعيلية ليس من الامور السهلة، فأن ذلك لا يمنعنا من ان نذكر انه لا يوجد اي ارتباط بين إسماعيل والإسماعيلية ، فإسماعيل بريء من الإسماعيلية تماما لأنه مات معتقدا بأمامه والده الصادق ولم يدعو الإمامة لنفسه بل كان مؤمن خالص في ولائه واعتقاده ومن ادلة ذلك محبة الامام الصادق (ع) له في حياته وحزنه عليه بعد موته حتى انه مشى حافيا وراء جنازته .